ما بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ليس لها منطق يحكمها في ذاتها ، وليس لها منطق يحكم علاقتها بحرب اكتوبر ؟٠

الواقع ان نظرة سريعة على المسار العسكري لتلك الحرب تكشف عن « منطق » معين هو الذي حدد نتائجها العسكرية في النهاية ، وهو الذي يحدد نتائجها السياسية حتى الان ، ولفترة طويلة قادمة ٠ وربما بدا هذا المسار « متعرجا » الى حد يتصور معه انعدام « المنطق » ، على اساس ان المنطق يقضي بقواعد اساسية مستقيمة ومحددة ، الا ان الواقع أن هذا « التعرج » كان هو ذاته المنطق الذي حكم سير تلك الحرب ، و « التذبذبات » التي تخللتها كانت هي محددات الوضع الذي انتهت اليه عندما أصبح وقف اطلاق النار نافذ المفعول ٠ وبالمثل فان النتائج السياسية التي أسفرت عنها تسير بمنطق متعرج كثيرا ، ولكنه منطق تتسق فيه المقدمات مع النتائج ، وان لم تتسق المقدمات نفسها مع كثير من البديهيات النظرية او المجردة ٠ والاحداث التي يمكن تصورها استمرارا سياسيا للنتائج العسكرية بعد حرب اكتوبر تسير على نحو « متذبذب » يعكس ذلك التذبذب الذي حكم السلوك والقرارات السياسية التي اخذت في تلك الحرب نفسها ٠

فماذا تكشف النظرة السريعة الى مسار تلك الحرب ؟ ينبغي ان نجيب على هذا السؤال ـ ولو باختصار ـ لكي نتولى المهمة المنوطة بنا في هذا البحث ، التي يحددها السؤال : كيف انعكس هذا المسار بعد ذلك على التطورات السياسية لما بعد حرب اكتوبر ؟ ٠

لقد مرت حرب اكتوبر بالمراحل التالية من ناحية سير « الاحداث » العسكرية (والروايات المختلفة لمسار حرب لا تختلف على مثل هذا التقسيم لمراحلها) :

مراحل ٠٠ وتعرجات

☐ بداية من الناحية العربية ، التي اعدت ونفذت على جبهتي القتال (القناة والجولان) ، فقد اخذ العدو الصهيوني بمفاجأة استراتيجية اكيدة وعلى الرغم من روايات عديدة شبه وثيقة ـ بأن العدو لم يفاجأ معلوماتيا بموعد الهجوم والاستعدادات له ٠ وقد حقق هذا التفوق المفاجيء نجاحا باهرا على الجبهتين ، تمثل في العبور وتحطيم خط « بارليف » على قناة السويس ، وتمثل في الاجتياح السوري وتحرير معظم المساحة المحتلة في الجولان ٠

في تلك المرحلة كان الشعار السياسي المرفوع من قبل القيادة السياسية هو القائل ـ على لسان الرئيس المصري موجها للسفير السوفياتي في القاهرة فينوغرادوف مساء يوم ٦ اكتوبر ـ « نحن نريد السلام ٠٠٠ ولكن السلام لن يتحقق قبل ان يخرج اخر جندي اسرائيلي من سيناء » (١) ٠

وفي تلك المرحلة كان التنفيذ العملياتي انعكاسا لتنسيق مبني على تحالف عسكري ـ سياسي متين بين قيادتي القاهرة ودمشق ٠ وفي تلك المرحلة ايضا كانت الاتصالات الدبلوماسية الخارجية مع الاتحاد السوفياتي وحده ٠

☐ في المرحلة الثانية ـ بعد ثلاثة ايام من بداية المرحلة الاولى ـ بدا أن لحركة القوات المصرية على جبهة سيناء حدودا مرسومة لا تملك اوامر ـ او خططا ـ لتخطيها : اي ان نهاية المرحلة الاولى كانت هي نهاية الدفع العسكري من الجانب المصري في تلك